تصدير

كنت ألقي دروساً ثقافية في موضوعات متعددة لطلاب جامعة إب في السكن الخيري ، وكان من ضمن الموضوعات المقررة موضوع الحداثة ، وقد وقعت يدي على كتاب رائع يتحدث عن الحداثة والإنحرافات العقائدية الخطيرة الذي وقع فيها أدباء الحداثة لمؤلفه الدكتور سعيد بن نصر الغامدي، دراسة نقدية شرعية وهو رسالة دكتوراه ، وقد قمت بتلخيص بعض موضوعاته للطلاب، وقد أشار إليّ بعض الأفاضل كي تعم الفائدة ، أن أكمل هذاالتلخيص لآتي على الرسالة كلها ، وقد شجعني على ذلك ندرة وجود الكتاب في المكتبات العامة عوضًا عن الخاصة ، وأيضا حجم الكتاب الضخم الذي يحتوي على ثلاثة مجلدات بـ٢٣١٧ صفحة ايفور، وقد استطرد المؤلف بالأمثلة والشواهد في كل فقرة من فقرات موضوعات الكتاب بحيث لا يستطيع القارىء العادي أن يمر على شواهد الرسالة .

وقد قمت باقتباس العناوين مع حذف بعض منها، وإضافة البعض الآخر، واستفدت من المراجع المشار إليها في نهاية الكتاب، ولم أنسب القصائد في الهامش إلى مصادرها للإختصار ، ومن أراد المزيد فيرجع إلى الأصل ، وجعلت لكل عنوان شاهدًا أو شاهدين فقط، وقربت باختصار الانحرافات العقائدية بصورة سهلة دون تعليق على النص لوضوحه ، لتعلم الأمة خطورة هذا الفكر المدمر للقيم والمبادىء والأخلاق الإسلامية ، ولتكون على حذر مما يراد لها ولدينها

وعقيدتها ، فتعتصم بكتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

والله أسأل أن ينفع بهذا المختصر ، وأن يقينا شر الأشرار، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

د . أحمد القاضي

أستاذ بجامعة إب - اليمن

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

obeikandl.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين خالق الخلق أجمعين ، وصلى الله وسلم على خاتم أنبيائه الذي جاء الدين القويم فأقام الله به منارات العلم والخير والهدى ، ورضي الله عن الصحابة و التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإنه لما كثرت سهام الشبهات التي يرميها أعداء الإسلام ، وتطاول أهلها، كان لزاماً على من علم من عِلم سموم أعداء الإسلام الفكرية والسلوكية أن يبين لأمته وأبناء ملته خطورة هذه المسالك ، وفظاعة هذه المهالك كما قال تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ {الأنعام:٥٥}.

أهمية الموضوع وسبب اختياره :

* من أخطر وأشنع ما فعله أعداء الإسلام لتحصيل تلك المطالب الخبيثة، تلك الأساليب الثقافية الخبيثة التي ظاهرها « الأدب والشعر والثقافة والنقد» وباطنها الكفر والشك والنفاق ، مرة تحت قناع الأدب الحديث ، ومرة تحت شعار« الثقافة الإنسانية » وأخرى تحت لافتة « التحديث ومجاراة العصر وتداخل الثقافات» وأخرى تحت عناوين كثيرة تدور كلها تحت معنى قول الله تعالى:﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ {النساء:٨٩} وقوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾{النساء:٢٧}.

* لتبيين بعض جوانب الخطورة في الأدب العربي المعاصر .

* لعله يكون سبباً في صحوة من غفاء ، ودلالة من غامت نفسه طرق الهدى

وسبباً في كبت من أعرض ونأى ، وكشف سبل المجرمين ، وسبباً لإيضاح الحق لمن استغفل وجرى في مجراهم مؤيداً أو منافحاً ، لعله يعود إلى الهدى ، وسبباً لتحريك حمية أهل الإيمان .

حدود الموضوع : «هذا البحث أربعة أبواب وخاتمة ، ومقدمة وتمهيد عن علاقة الأدب بالاعتقاد ، ونبذة عن الانحرافات العقدية المعاصرة في مجال الثقافة والفن والأدب .

ولابد من تبيان عدة أمور :

١- تبين أن أكثر أهل الأدب الحديث يطلقون لفظ « المعاصرة» ، «والأدب المعاصر» على أدب الحداثة .

٢- ابتدأ هذا البحث من بداية الحداثة الشعرية العربية في العراق على يد السياب أو نازك الملائكة إلى يوم الحداثة العربية الفكرية والأدبية المعاصرة .

٣- ركز على دواوين وكتب أكابر الحداثيين وأوائلهم ومشاهيرهم في البلاد العربية .

٤- رُتبتْ الفصول بذكر إجمالي لمعتقد أهل السنة والجماعة في القضية المتناولة ثم الجذور الفكرية للانحرافات الاعتقادية عند أهل الأدب العربي المعاصر .

٥- ركز البحث على الشواهد الشعرية ثم الروايات فكلاهما شيء واحد .

٦- الإكثار من الشواهد ، فاللفظ دليل مادي قائم على حقيقة اللافظ .

٧- إيراد الشعر الحداثي على طريقتهم في الكتابة ، ووضع نقاط تدل على الحذف .

٨- التعليق على بعض النصوص دون بعض، فالمراد إثبات وجه الانحراف .

٩- التركيز على الشعر الحداثي دون غيره لأسباب عديدة فهو أهم أعمالهم وأخطر إبداعاتهم وأكثر أعمالهم وكثرة القراء لمتابعتهم وقراءة ما كتبوا ويكتبون .

١٠- هناك تشابه وصلة بين الحداثيين وبعض الفرق القديمة المنتسبة إلى الإسلام .

١١- ذكر بعض الأوصاف التي يستحقونها مثل الضلال ، والزيغ والإلحاد والانحراف .

١٢- ينبغي التنبيه للشراك المنصوبة باسم "الموضوعية" و"الحوار" والانفتاح الثقافي و "حرية الرأي" .

١٣- ينبغي أن يعرف بأن الحداثيين ليسوا على درجة واحدة بل هم في دركات مختلفة .

١٤- تحري العدل والإنصاف في فهم النصوص الحداثية والحكم عليها .

الدراسات السابقة في الموضوع :

هناك جملة من المؤلفات تعرضت لهذا الموضوع بلغت أربعة وعشرين كتاباً بيد أنه لا يوجد كتاب جامع تحدَّث عن موقف الحداثيين من أركان الإيمان ومقتضياتها العملية .

شمول الإسلام لكل أعمال الإنسان ومناشطه :

خلق الله الإنسان وأوجد فيه الإرادة والقدرة على العمل وجعل له الأدوات التي يحقق بها حاجته المعيشية ، ورغبته التحسينية وجعله متميزاً بعقله ونطقه وإرادته .

ومنذ أن خلق الله الإنسان أمره ونهاه ، وذلك لمقتضى إلوهيته وربوبيته

موجهاً إلى من كانت مقتضيات بشريته وآدميته ومؤهلات الخلقة فيه صالحة للعبودية التامة ، وقابلة لإتباع أوامر الله واجتناب نواهيه .

هذه الحقيقة تضافر على إثباتها البرهان العقلي النقي والفطرة السليمة ، وجاء الرسل لترسيخ هذا المعنى كلما لجت البشرية في الأهواء واسترسلت في اتباع الشياطين .

فحقيقة كون الإنسان عبداً مخلوقاً لإله خالق مدبر إليه المصير ، هي أم الحقائق و القاعدة الأولية لمن أراد الدخول في الإسلام ، إنها أساس المعركة بين الحق والباطل ، تنادي ابتداءً بإفراد الله تعالى بالعبودية والطاعة المطلقة له ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ {الأنبياء:٢٥} .

فهذا المعنى يتجلى في الفرق الحاسم بين ربوبية الله المقتضية للخلق وإلوهيته المقتضية للأمر ، كما يشاء وفق علمه وحكمته ومشيئته ، ووفق التركيب الرباني الموجود في هذا الكائن الحي الناطق الملخص وصفه في أنه "حارث وهمام" أي له قدرة وإرادة .

ومن هنا تتقرر قاعدة الحق والخير والعدل ، وما يترتب على هذا من صفات وعلامات ونتائج .

إن البداية للإنسان الأول " آدم وزوجه" وكلما فتر هذا المعنى في حس البشر أو تزعزع أرسل الله الرسل لإيضاح مهمة الإنسان في هذا الوجود .

لقد كان جهاد الأنبياء عظيماً في مواجهة الانحرافات المتعلقة بالعقيدة ، إذ بسببها تقع الانحرافات في السلوك والنظم والأعمال والعلاقات ، وأخطرها تعدد الآلهة وكثرة المطاعين مع الله أو من دون الله .

فقضية التوحيد شغلت الحيز الكبير من القرآن العظيم وشغلت أكثر وقت

النبي الكريم ﷺ .

فلا يقبل الله عملاً ولا يستقيم سلوك ولا تصح عبادة إلا بصحة واستقامة واستقرار المعنى العظيم الذي تحتويه كلمة التوحيد .

وفي هذا دلالة كاملة على أن قضية القضايا وأصل الأصول هي قضية التوحيد و مقتضياته ولوازمه .

إن رواد التطرف العلماني والحداثي ينطلق انحرافهم وضلالهم الأدبي والفكري والسلوكي من قاعدة التمرد على شرع الله ، زعماً منهم أن هذا الشرع الحنيف ليس شاملاً لكل أعمال الإنسان ومناشطه ،وليس أهلاً لأن يحكم الناس أو يوجه أعمالهم ، أو يقود مسيرة حياتهم نحو حياة أفضل وأسعد، وسوف يعرض في ثنايا البحث من دلائل هذه العقيدة المنحرفة ما يؤكد أن هذا التيار التغريبي يقود حركة ردة عن الإسلام بصورة لم يشهد لها تاريخ المسلمين مثيلاً .

وفي ذلك ما يوجب على العلماء والدعاة أن يبذلوا كل جهودهم في سبيل تثبيت العقيدة الصحيحة وتفهيم التوحيد الحقيقي وترسيخ مبدأ العبودية الشامل ، وتوضيح المفهوم الحقيقي لكلمة المسلم والإسلام ، فما أكثر جرينها على الألسنة ولكن كم من الناطقين بهما يشعر بما تتضمنان من معاني؟ وكم من السامعين يفهم منها تمام المفهوم الذي كان يفهمه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم ؟.

إن إيضاح هذه المعاني وتجلية هذه الحقائق هو أهم ما يجب أن تشمر همم المسلمين لتحقيقه واقعاً حياً معاشاً تندحر أمامه شبهات أهل الأهواء وضلالات أصحاب الضلال .

٢. علاقة الأدب بالاعتقاد :

تقرر بالدليل العقلي والنقلي ، وبمقتضيات الفطرة القويمة ، أن العبادة هي

الوظيفة الأولى والأساسية للإنسان في هذه الحياة ، وأن الإسلام شمل جمع أعمال الإنسان ومناشطه ، ويتضح بناءً على ذلك أن أمر العبادة في حياة الإنسان ليس أمراً هامشياً أو وقتياً بل هو المبدأ الأول لوجوده ، والغاية الأصلية لحياته، وعلى هذا انقسم الناس إلى قسمين ، قسم التزم بالعبودية وخضع لأمر الله إلهه؛ فهؤلاء هم أهل النجاة ، وقسم أبى واستكبر فهم على دركات .

ولا ريب أن أعمال الإنسان وسلوكه تتأثر بعقيدته ونظراته وفكره ، والسلوك والعمل في الغالب حصيلة الاعتقاد ، والأدب على وجه الخصوص مستودع شعوري كبير للأمة أو الفرد يحمل الخصائص الفكرية والتصورات الاعتقادية والحصيلة التاريخية ، وله خصيصة أخرى وهي قدرته على تخطي الحدود وتجاوز عقبات الفوارق الجنسية واللغوية ولاسيما في عصرنا ، فأصبح بذاته عقيدة عند الملتزمين بمذاهبه الفكرية الاعتقادية ، وإن صورت أنها مدارس فنية أو مناهج إبداعية ، فهي عقائد يسعون لنشرها ويوالون ويعادون من أجلها .

فهذه قاعدة يتضح من خلالها قوة العلاقة بين الأدب والاعتقاد من ناحية النظر أو الممارسة .

والمتأمل في أي إنتاج أدبي يجد صاحبه ينطوي على عقدية معينة تجول في عقله أفكار معينة ومن المسلّم به بداهة ، أن هذه العقيدة المحضن الأساسي لما ينتجه الأديب بمراحل متداخلة في نفسه ويعبر عن قنوات متشابكة منها جلي ومنها خفي ، فالجلي الاعتقاد والأفكار المكتسبة والمبهم الخفي التكوين النفسي الذاتي لكل شخص ، وقد اهتم الدارسون المعاصرون بالجانب النفساني واستعانوا بعلم النفس الحديث في قضايا النقد ، ووجدت دراسات عديدة لآثار العقيدة والفكر والاتجاه السياسي والاجتماعي على عملية النتاج الأدبي .

وقد اختلفت مصطلحات الدارسين لهذه الناحية فمنهم من يسميها " الموقف الفكري "ومنهم من يطلق عليها " القضية " أو "استيعاب القضية " وأكثر ما دار النقاش حول مصطلح " الالتزام " ومصطلح "أدلجة الأدب" وحتى الذين يرفضون ذلك يمارسون هذه النظرة ضمن فكرة وعقيدة" الحرية" فلا فكاك بين الأدب والاعتقاد ، ولذلك عرَّفوا الالتزام بأنه " اعتبار الكاتب فنه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان لا لمجرد تسلية غرضها الوحيد المتعة بالجمال "وقيل بأنه" قرار كاتب بالتزام كتابته تاريخ / وضعية / وعي ما كذا.

فاللغة الأدبية ليست مجرد إشارات فلها وظيفة جمالية تفرض تنظيماً متعمداً إبداعيًا على مصادر اللغة اليومية ، وليس من الصواب المبالغة في إبراز التضاد بين استخدامين للغة يقسمها إلى لغة فكر، ولغة انفعال هي اللغة الأدبية ، فالأدب له جانبه الفكري الخاص الذي لا يمكن إغفاله، فالوجودية والذرائعية متمردة على العقائد والقيم ، تعد الالتزام بالحرية أحد مبادئها، فكل عمل أدبي فني لا بد أن ينشأ من عقدية وينتج من فكر معين وفلسفة معينة للحياة والكون، والإنسان والخالق ، والعلاقة بين الخالق والمخلوق ويستوي في ذلك الوحي أو الوثنيات في كون كل منهم ينبثق في إنتاجه من العقيدة التي يؤمن بها ، والدائرة التي تحيط بها وتضم كل مفرداتها هي " العقيدة " سوءا كانت عقيدة صحيحة أو فاسدة .

إن الإنسان ـ أي إنسان ـ في القديم أو في الحديث لا بد له من عقيدة تربطه وتحدد مساره وفكره وأعماله ، بغض النظر عن كونها سماوية أو أرضية مادية، فالماركسي عقيدته الطبيعة ، والوجودي يتبنى عقيدة التعلق بالذات واعتقاد عبثية الوجود كله وهكذا سائر العقائد المنحرفة والضالة ، والناظر في نتاج الأدباء القدماء والمعاصرين يلحظ بيسر تأثير العقائد وبصماتها على النص الأدبي في مضمونه أو في تعبيراته أو في صوره الفنية أو في رموزه .

ففي مصر القديمة كانت النصوص الأدبية تخرج متأثرة بالمعتقدات السائدة لديهم ، وفي عهد فلاسفة اليونان كانت العقائد والقيم لها مكانتها الأساسية في التوجيه ومعايير القبول والرد ، إذاً قضية الالتزام في الأدب والثقافة ، والتلازم بين الاعتقاد والأدب قضية قديمة .

وحتى " أرسطو " جاء بفلسفة " التطهير " هي وجه من أوجه الالتزام بمنظار المنفعة ، ويدور معناه حول معالجة أمراض الناس وعيوبهم الخلقية من خلال المأساة وإثارة مشاعر الخوف والقلق والرحمة .

ولا ريب أن كل ذلك ينبثق من العقيدة الوثنية القائمة على تعدد الآلهة ، وهكذا النتاج الأدبي عند الأمم يجد الترابط الوثيق الذي لا ينفصم بين الأدب ومعتقدات تلك الأمم .

والمتتبع لحركة الأدب الإنساني يجد أنه أحد أهم الوسائل المعبرة عن فكر ومعتقد صاحبه سواء كان هذا الأدب شعراً أو نثراً ، رواية أو مقالة أو نقداً ، وحتى دعاة الفن للفن المسماة " اللامنتمي " يناقضون أنفسهم غاية المناقضة حين يزعمون أنهم بلا عقيدة ولا هدف ولا غاية فهذه الفكرة تجد ذاتها عقيدة شاءوا ذلك أم أبوا ، وهم يناقضون أنفسهم حين يسترون خلف شعاره الأدب لا عقيدة له ، فعلى هذا فالحديث عن الجانب الفكري والاعتقادي مقدم عن الحديث عن الجانب الفني والجمالي في الأدب .

والأدب العربي المعاصر ـ الأدب الحداثي ـ نموذج من نماذج التعبير عن العقائد الجديدة ، المستوردة من الغرب ، وصورة من صور الغزو الثقافي والارتكاس الفكري ، حيث أضحى الأدب الحداثي عقيدة قائمة بذاتها ، وإن كانت تضم لفيفاً من المعتقدات والتصورات بدءاً بالوثنيات اليونانية وانتهاءً بالمذاهب المادية المعاصرة .

فحين يعبر الأديب عن حالة الانتكاسة والاستلاب الذي تعيشه الأمة في هذا العصر ، نجد الأديب المسلم يستمد معايير وأسس تفكيره من الوحي المعصوم ويستند إلى تراث تأريخي وحضاري كبير أما الأديب اللاديني "العلماني" فقد استورد أفكاره وعقائده من الغرب واتخذ من دين الإسلام موقف الرفض أو التشكيك أو الاقصاء أو عدم المبالاة ، وتقلب بين رذائل الإلحاد والميوعة الفكرية .

وهاكم بعض الأصول والمحاور الاعتقادية والفكرية التي تقوم عليها الحداثة المعاصرة :

١- دعوته إلى التعددية الوثنية وجعلها أساساً للتعددية الفكرية والسياسية ، وجعلهم توحيد الله تعالى أساساً للتعصب والتخلف والرجعية زعموا.

٢- زعمهم أنه ليس هناك حقائق مطلقة .

٣- دعوتهم إلى استباحة المحرمات والتحرر من الضوابط وإسقاط موازين الحلال والحرام

٤- دعوتهم إلى ترسيخ المفهومات الحداثية وإيجاد مفهومات شمولية جذرية حديثة .

٥- الهجوم على التراث والثقافة الإسلامية خاصة .

٦- دعوتهم إلى الرفض والتمرد والثورة على كل شيء والانقلاب على الأصول والمفاهيم الكلي .

٧- تأليه الإنسان والدعوة إلى الإنسانية مبدأ أو غاية .

٨- ممارسة التعمية والغموض ، ومضادة الإفهام والوضوح .

٩- الدعوة إلى الخروج عن المألوف ، ونفي السائد ورفضه ومخالفته .

١٠- إعادة النظر في كل شيء ، وممارسة الشك في كل قضية أياً كانت .

١١-الدعوة إلى مقاطعة الماضي ومضادة مفاهيمه والانفصال عنه ومعارضته.

١٢- القضاء على فكرة الثابت فكل فكرة أو قضية لها سمة الثبوت فهي تخلف ومهانة .

١٣- الدعوة إلى تأليه العقل والعلم الماديّ ، والإدعاء بأن حرية العقل "بالمفهوم الحداثي" أساس كل نهضة وتقدم .

١٤- الزعم بأنه لا حرية للإنسان إلا بهدم الشريعة ، والغيبيات والأخلاق .

١٥-رفض العبادة لله تعالى واعتبار الدين سبباً للتخلف والفشل ، ونقل مركز الثقل من السماء إلى الأرض .

١٦- تبني الهدم والفوضى ، وأن التخريب حيوي ، وهو أول الواجبات ، والهذيان والفوضى من علاماته .

١٧- الدعوة إلى إسقاط القداسة ، واختراق المقدس وتدنيسه .

١٨- إدانة العقل والوعي ، وضوابط العلم والنظام والمنطق ، وكل مؤسسي وثابت .

١٩- تفكيك كل القيم والمعايير ، وزعزعة كل الموازين الماضية .

٢٠- الترديد الدائم بأنه كما يجب أخذ التقنية يجب أخذ الأفكار الثقافية والمذاهب والقيم .

٢١ -التركيز على أن الحداثة رؤيا شاملة للحياة والوجود ، وأنها عقيدة ومضمون أبدي ومفهوم حضاري جديد كامل شامل .

هذه هي المنطلقات الأساسية للفكر الحداثي والأسس الاعتقادية ، ولا

يخلو شخص حداثي ولا مدرسة حداثية من القول بواحد أو أكثر من هذه الأسس ، وبعضهم ممن له الزعامة والريادة في هذه المذاهب يقول بها كلها ، وسوف يرد في هذا البحث الشواهد الكثيرة على ذلك .

٣ـ نبذة عن الانحرافات العقدية المعاصرة في مجال الثقافة والفن والأدب .

مرت الأمة الإسلامية بمراحل عديدة وتقلبات كثيرة وتغيرات متنوعة، وكان أظهر تغير حصل فيها ما حدث في أخطر قضيتين هما : " المنهج " و"التطبيق " .

فأما المنهج فقد توجهت إليه سهام المبتدعة بالزيادة فيه والنقص ، من خلال الزنادقة ومن ناحية أخرى تجمد الفقه على مجرد التقليد للمذهب تاركين الحياة السياسية ، أما الأدباء والشعراء فقد تحولوا تدريجياً إلى أبواق مديح ، أو أدوات إلهاء وتسلية، وبيع للمواهب الثقافية في أبهاء السلاطين،وكان النزف ينخر الحياة ببطء مما أدى إلى تقويض البناء والجهاد .

أما " التطبيق " فقد بدأ التحول فيه بانقضاء عصر الراشدين وكان تحولاً يسيرًا ، لكنه ما فتئ مع طول الزمن يتوسع ،إلا أن اتساع الشقة بين المنهج والتطبيق وبين الوضع العام وذوي التأثير من أهل العلم والدين كانت تتسع الشقة بين المنهج والتطبيق وبين الوضع العام وذوي التأثير من أهل العلم والدين كانت تتسع رويداً رويداً ، ومع كل ذلك فقد بقيت الأمة في مجموعها معتصمة بدينها ، وأمة الإسلام تجري عليها سنة الله .

والأمة على رغم ما أصابها لم تتخل عن الحكم طوال أربعة عشر قرناً ، فرغم الكوارث الداخلية والخارجية تأتي لها صحوات عودة صاعدة .

والناظر في تاريخ الأمة في القرون الفاضلة يجد ما يقتضي الإتساء ، فالدين على سموه لا يعمل في واقع الحياة من تلقاء نفسه بعيداً عن عمل البشر

وتطبيقهم ، وفي مقابل ذلك صار هذا الإنسان يحمل تبعة اختياره ، وأصبح ما يحدث له في الدنيا والآخرة نتيجة لأعماله .

لقد تردى حال الأمة في هذه الحقبة ترديًا لم يسبق له مثيل في كل تاريخها ، كانت تجتمع تحت راية الدولة العثمانية التي ورثت من أمراض من سبقها ما ورثت ، إلا أنها كانت في الوقت التطبيقي موضع قوة .

فبعد أن انتهت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٢-١٣٣٦هـ) ١٩١٤-١٩١٨م ،والتي عصفت بالعالم طوال أربع سنوات أدت الحرب إلى تغييرات جذرية في العالم ، وكان من أهم هذه التغييرات اختفاء الدولة العثمانية، واقتسام البلاد الإسلامية .

وصل الاستعمار في أكثر بلاد المسلمين ، واشتغلوا بتغيير الأسس الفكرية والثقافية واهتموا وبصورة مركزة على إيجاد أدوات تنفيذ لهم من أبناء المسلمين وركزوا على فئتين هما : " فئة الإداريين " و" فئة المثقفين " في تغيير الحياة في البلدان الإسلامية .

ومن أخطر الفئات التي قامت بتنفيذ مخطط الانحرافات " فئة المثقفين العلمانيين والحداثيين " ذوي العقول المسترقة والنفوس المستبدة ، التي قامت وما زالت تقوم بترويج الركام الوثني ، وتسويق إفرازات الغرب المادي من مذاهب وفلسفات .

إن الانحرافات الكبيرة تبدأ صغيرة ولكنها لا تفتأ تزداد على مر العصور وكر الأيام،فالتصوف مثلاً في الدولة الأموية في زوايا مهملة لا أثر لها ثم انتشر في الدولة العباسية أكثر ، ومع ذلك كان منعزلاً عن المجتمع ، بينما في الدولة العثمانية أصبح هو المدخل الأساسي إلى العلم والدين وأصبح الشعار " من لا شيخ له فشيخه إبليس " و "كن مع شيخك كالميت بين يدي الغاسل "

وفي المجال الفقهي "سد باب الاجتهاد" وفي الجانب السياسي والاجتماعي وغيرها من الجوانب أيضا .

وبدأ الجمود والتخلف يسيطر على بلاد المسلمين حتى ضرب بجرانه، ومهما يكن فقد اجتمعت حصيات الانحراف ، وتفاعلت الانحرافات حتى وصلت الأمة إلى الهوة الهابطة السحيقة .

وجاء العصر الحاضر والأمة تتقلب في سفوح التخلف فاستطاع الأعداء اختراق جسد الأمة وحماها فالتخلف الاعتقادي ، أضحى ، التخلف السياسي والاقتصادي والعلمي والحضاري والثقافي والفكري والحربي والصناعي .

ويمكن الإشارة إلى بعض الخطوط العامة في سيرة الانحراف الثقافي والأدبي والفني :

١ - التخلف الاعتقادي والثقافي والحضاري الداخلي في الأمة الإسلامية .

٢- الحملة الفرنسية في عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٨م ، ويعتبرها المنهزمون بداية الفتح العظيم ، إنها حملة صليبية ، اتخذت من مصر قاعدة لقطع الطريق، وجاءت محملة بمجموعة من البغايا وأرسلتهن إلى الشوارع حاسرات عاريات ، فكانت هذه الحملة العسكرية الموجهة ذات أهداف استعمارية واعتقا دية أسهمت في تفكيك الدولة العثمانية .

٣ - ولاية محمد علي : ١٨٠٥-١٨٤٨م تولى حكم مصر نيفاً وأربعين عاماً بأمر من السلطان العثماني ، وتحت ولايته عام ١٨٠٥ م بعد خروج الحملة الفرنسية ، قضى على المماليك في مذبحة القلعة ، وقضى على المقاومة التي أوصلته للحكم ، وعلى بناء قومه من الألبان ثم الاستعانة بالفرنسيين والأوروبيين على بناء دولته العلمانية ، وعمل على القضاء على الدولة العثمانية ، وفتح باب التغريب في مصر، ووقف مع المتغرب الطهطاوي

المبشر بمصر الجديدة التي لم يرها .

٤- مرحلة الاحتلال البريطاني الذي بدأ باحتلال مصر في عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م . حيث استلم اللورد كرومر " قيادة التأثير الفكري السياسي فنفذ المخططات الاستعمارية" .

٥- مرحلة الاستعمار والتي أعقبت الحرب العالمية الأولى ، والتي نفذت فيها المقررات السرية لمؤتمر سايكس وبيكو.

فهذه المراحل وما تبعها من أحداث أدت إلى إيجاد أجيال جديدة مبتوتة الصلة مع تراثها وحضارتها وأقلها خبثاً موقف المشكك إزاء كل ما يتعلق بالدين وتأريخ الأمة ولغتها ومستقبلها .

وهاكم عرضاً سريعاً للملامح الأساسية في مجال الفكر والأدب :

١- **يجمع المؤرخون لحركة التحولات الفكرية** والأدبية أن خليل مطران النصراني اللبناني هو رائد هذه التحولات ، وطليعة التوجهات الحداثية ،وكبير دعاة التحرر من الأساليب القديمة ومن المروجين الأوائل لقضية التجديد في المضامين والتغيير الدائم .

٢- **جماعة الديوان** : أسسها ورأسها شكري ومعه العقاد والمازني ، وقد قلدت المدرسة الانجليزية والسير خلف مفاهيمها لدرجة تقليدهم حتى في سلوكهم الشخصي الانجليزي .

٣- **جماعة أبولو**: أنشأها أحمد زكي أبو شادي ، وقد تأثرت بالنزعة الغربية لمؤسسها الذي نشأ وتعلم وتأدب في انجلترا وتزوج منها ، وقد تتلمذ على شعر مطران ، وكان يتبع المذهب الرومانتيكي ، وأهم مبادئها : التحرر الفني، الطلاقة البيانية ، الاعتزاز بالشخصية ، الجرأة على الابتداع ، والعبودية

للرواشم المحفوظة ، التقديس للتقاليد المأثورة .

وقد قرروا أن يكون فكرهم مستلهماً لكل التراث الإنساني ، لا فرق بين ما كان عربياً أو أجنبياً .

٤- **معروف الرصافي** : يعتبر من طليعة الحداثيين ، أثنى عليه أندونيس لأنه هاجم ما كان اجتماعياً من عادات وتقاليد دينية وغيرها ، حيث أنكر الرصافي الدين والوحي والنبوة وإنكار الغيبيات ورفض فكرة العبادة والدين والعقاب والجنة والنار ورفض التشريعات .

٥- **جبران خليل جبران** : اعتبره أندونيس نبي الحداثة وأطنب في شرح ما سماه في سمات نبوة جبران ، وعن الوحي الذي يأتيه والكشف والرؤيا التي زعم أنه يتحلى بها ، في الوقت الذي يجحد أدو نيس الغيبيات يؤمن بغيبيات جبران الباطنية النصيرية والوثنية الاغريقية .

ويقرر أدو نيس أن إبداع جبران يأتي من سخريته بالقيم الدينية والاجتماعية، والإتيان بآفاق العدمية ، وقد أطال أدو نيس عن جبران لكونه يلتقي معه في المبدأ الإلحادي ، والمشروع التخريبي والعمالة .

٦ -**شعراء المهجر** : هؤلاء كانوا رأس حربة للغزو الفكري وقد انطلقوا من عقائدهم النصرانية فهم يحملون أحقاداً صليبية متجذرة في نفوسهم ،وخاصة " الرابطة القلمية " التي ظهرت عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م ، في نيويورك على يد مجموعة من نصارى لبنان ،وقد أصدرت عدداً من المجلات والنشرات والكتب ، وكان من أهم سماتها كما يقول أدونيس: الاقتلاع المادي والمعنوي وما يرافق هذا الاقتلاع من هزات انفعالية وفكرية .

٧- **الحداثة العربية** : تولدت من تلك المقدمات ما يسمى بالحداثة العربية

وهي في الحقيقة غربية الأصل والنشأة والتوجه والأهداف ، ولكنها مترجمة إلى العربية ومنقولة إليها بأحرف عربية الحرف ، أجنبية الولاء ، وقد ابتدأت من العراق وانطلقت إلى جميع البلاد العربية .

obeikandl.com